التربية وكشف خبايا النفوس وتصفية الصفوف أهم فوائد الابتلاء وحكمه

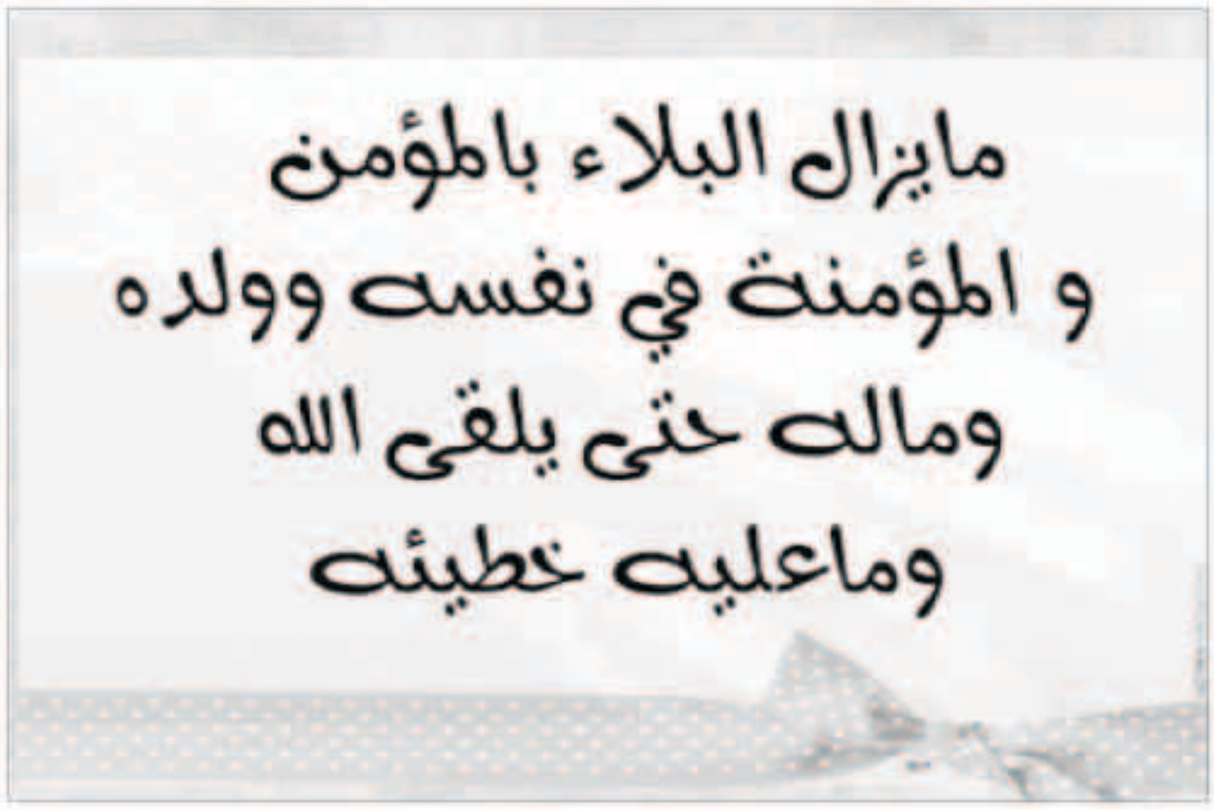

الابتلاء – بصفة عامة– سنة الله في خلقه، وهذا واضح في تقريرات القرآن الكريم، قال تعالى: «وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِيمَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ» [الأنعام: 165] وقال سبحانه: «إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا» [الكهف: 7] وقال جل شانه: «إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا» [الإنسان: 2].

الابتلاء مرتبط بالتمكين ارتباطا وثيقا، فلقد جرت سنة الله تعالى ألا يُمكّن لأمة إلا بعد أن تمر بمراحل الاختبار المختلفة، وإلا بعد أن ينصهر معدنها في بوتقة الأحداث، فيميز الله الخبيث من الطيب، وهي سنة جارية على الأمة الإسلامية لا تتخلف، فقد شاء الله تعالى أن يبتلي المؤمنين ويختبرهم، ليمحص إيمانهم ثم يكون لهم التمكين في الأرض بعد ذلك، ولذلك جاء هذا المعنى على لسان الإمام الشافعي حين سأله رجل: أيهما أفضل للمرء، أن يُمكن أو يبتلى؟ فقال الإمام الشافعي: لا يمكن حتى يبتلى، فإن الله تعالى ابتلى نوحا وإبراهيم، وموسى وعيسى، ومحمدا صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فلما صبروا مكنهم، فلا يظن أحد أن يخلص من ألم البتة».

حكمة الابتلاء وفوائده: للابتلاء حكم كثيرة من أهمها:

1 – تصفية الصفوف:

جعل الله الابتلاء وسيلة لتصفية نفوس الناس، ومعرفة المحق منهم والمبطل؛ وذلك لأن المرء قد لا يكشف في الرخاء، لكنه تكشفه الشدة، قال تعالى: «أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ» [العنكبوت: 2].

2 – تربية الجماعة المسلمة

وفي هذا يقول سيد قطب رحمه الله: «ثم إنه الطريق الذي لا طريق غيره لإنشاء الجماعة، التي تحمل هذه الدعوة وتنهض بتكاليفها، طريق التربية لهذه الجماعة، وإخراج مكنوناتها من الخير والقوة والاحتمال، وهو طريق المزاولة العملية للتكاليف، والمعرفة الواقعية لحقيقة الناس وحقيقة الحياة، ذلك ليثبت على هذه الدعوة أصلب أصحابها عودا، فهؤلاء هم الذين يصلحون لحملها، إذن بالصبر عليها، فهم عليها مؤتمنون».

3 – الكشف عن خبايا النفوس

وفي هذا المعنى يقول صاحب الظلال: «والله يعلم حقيقة القلوب قبل الابتلاء، ولكن الابتلاء يكشف في عالم الواقع ما هو مكشوف لعلم الله، مغيب عن علم البشر، فيحاسب الناس إذن على ما يقع من عملهم لا على مجرد ما يعلمه سبحانه من أمرهم، وهو فضل من الله من جانب، وعدل من جانب، وتربية للناس من جانب، فلا يأخذوا أحدا إلا بما استعلن من أمره وبما حققه فعله، فليسوا بأعلم من الله بحقيقة قلبه».

4 – الإعداد الحقيقي لتحمل الأمانة

وفي هذا المعنى يقول صاحب الظلال: «وما بالله – حاشا لله – أن يعذب المؤمنين بالابتلاء، وأن يؤذيهم بالفتنة، ولكنه الإعداد الحقيقي لتحمل الأمانة، فهي في حاجة إلى إعداد خاص لا يتم إلا بالمعاناة العملية للمشاق، وإلا بالاستعلاء الحقيقي على الشهوات، وإلا بالصبر الحقيقي على الآلام، وإلا بالثقة الحقيقية في نصر الله وثوابه على الرغم من طول الفتنة وشدة الابتلاء، والنفس تصهرها الشدائد، فتنفي عنها الخبث وتستجيش كامن قواها المذخورة فتستيقظ وتتجمع، وتطرقها بعنف وشدة فيشتد عودها ويصلب ويصقل، وكذلك تفعل الشدائد بالجماعات، فلا يبقى صامدا إلا أصلبها عودا وأقواها طبيعة، وأشدها اتصالا بالله، وثقة فيما عنده من الحسنيين النصر أو الأجر، وهؤلاء هم الذين يسلمون الراية في النهاية مؤتمنين عليها بعد الاستعداد والاختبار».

5 – معرفة حقيقة النفس

وفي هذا المعنى يقول صاحب الظلال: «وذلك لكي يعرف أصحاب الدعوة حقيقتهم هم أنفسهم، وهم يزاولون الحياة والجهاد مزاولة عملية واقعية، ويعرفون حقيقة النفس البشرية وخباياها، حقيقة الجماعات والمجتمعات، وهم يرون كيف تصطرع مبادئ دعوتهم مع الشهوات في أنفسهم، وفي أنفس الناس، ويعرفون مداخل الشيطان إلى هذه النفوس، ومزالق الطريق ومسارب الضلال».

6 – معرفة قدر الدعوة

وفي هذا المعنى يقول صاحب الظلال: «وذلك لكي تعز هذه الدعوة عليهم، وتغلو بقدر ما يصيبهم في سبيلها من غث وبلاء، وبقدر ما يضحون في سبيلها من عزيز وغال، فلا يفرطوا فيها بعد ذلك مهما كانت الأحوال».

7 – الدعاية لها

فصبر المؤمنين على الابتلاء دعوة صامتة لهذا الدين وهي التي تدخل الناس في دين الله، ولو وهنوا أو استكانوا لما استجاب لهم أحد، لقد كان الفرد الواحد يأتي إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ثم يأتيه أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يمضي إلى قومه يدعوهم، ويصبر على تكذيبهم وآذاهم، ويتابع طريقه حتى يعود بقومه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسنرى ذلك في الصفحات القادمة إن شاء الله.

8 – جذب بعض العناصر القوية إليها

وأمام صمود المسلمين وتضحياتهم، تتوق النفوس القوية إلى هذه العقيدة، ومن خلال الصلابة الإيمانية تكبر عند هذه الشخصيات الدعوة وحاملوها، فيسارعون إلى الإسلام دون تردد، وأعظم الشخصيات التي يعتز بها الإسلام دخلت إلى هذا الدين من خلال هذا الطريق».

9 – رفع المنزلة والدرجة عند الله وتكفير السيئات

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما يصيب المؤمن من شوكة فما فوقها إلا رفعه الله بها درجة، وحط عنه خطيئة» فقد يكون للعبد درجة عند الله تعالى لا يبلغها بعمله فيبتليه الله تعالى حتى يرفعه إليها، كما أن الابتلاء طريق لتكفير سيئات المسلم».

كما أن للابتلاء فوائد عظيمة منها: معرفة عز الربوبية وقهرها، معرفة ذل العبودية وكسرها، الإخلاص، الإنابة إلى الله والإقبال عليه، التضرع والدعاء، الحلم عمن صدرت عنه المصيبة، العفو عن صاحبها، الصبر عليها، الفرح بها لأجل فوائدها، الشكر عليها، رحمة أهل البلاء ومساعدتهم على بلواهم، معرفة قدر نعمة العافية والشكر عليها، ما أعده الله تعالى على هذه الفوائد من ثواب الآخرة على اختلاف مراتبها، وغير ذلك من الفوائد، ومن أراد التوسع فليراجع كتاب فقه الابتلاء».

الإسلام يكره سفاسف الأمور وإضاعة العمر في غير طائل

ترك الإنسان ما لا يعنيه والبعد عن فضول الكلام أول مراحل الاستقامة

■ إن المرء ليزل عن لسانه أشد من قدميه فإذا تكلم فليقل خيراً وليعود نفسه الجميل من القول

■ حسن الكلام مع الأعداء يطفئ خصومتهم ويكسر حدتهم أو على الأقل يوقف تطور الشر

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه».

وأول مراحل هذه الاستقامة أن ينفض يديه مما لا شأن له به وألا يقحم نفسه فيما لا يسأل عنه: «من حسن إيمان المرء تركه ما لا يعنيه». والبعد عن اللغو من أركان الفلاح ودلائل الاكتمال وقد ذكره القرآن الكريم بين فريضتين من فرائض الإسلام المحكمة هما الصلاة والزكاة: «قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكاة فاعلون». ولو أن العالم أجمع أحصى ما يشغل فراغه من لغو في القول والعمل لراعه أن يجد أكثر القصص المنشورة والصحف المشهورة والخطب والإذاعات لغوا مطردا تعلق به الأعين وتميل إليه الآذان ولا ترجع بطائل ! وقد كره الإسلام اللغو؛ لأنه يكره التفاهات وسفساف الأمور، ثم هو مضيعة للعمر في غير ما خلق الإنسان له من جد وإنتاج، وبقدر تنزه المسلم عن اللغو تكون درجته عند الله. عن أنس بن مالك قال: توفي رجل فقال رجل آخر ورسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع: أبشر بالجنة. فقال رسول الله: أولا تدري؟ فلعله تكلم فيما لا يعنيه أو تخل بما لا يُنقصه». واللاغي لضعف الصلة بين فكره ونطقه يرسل الكلام على عواهنه، فربما قذف بكلمة سببت بواره ودمرت مستقبله وقد قيل: من كثر لغطه كثر غلطه وقال الشاعر: يموت الفتى من عثرة بلسانه وليس يموت المرء من عثرة الرجل وفي الحديث: «إن العبد ليقول الكلمة لا يقولها إلا ليُضحك بها المجلس يهوى بها أبعد ما بين السماء والأرض! وإن المرء ليزل عن لسانه أشد مما يزل عن قدميه فإذا تكلم المرء فليقل خيرا وليعود لسانه الجميل من القول فإن التعبير الحسن عما يجول في النفس أدب عال أخذ الله به أهل الديانات جميعا.

وقد أوضح القرآن أن القول الحسن من حقيقة الميثاق المأخوذ على بني إسرائيل على عهد موسى: «وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحسانا وذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ثم توليتم إلا قليلا منكم وأنتم معرضون». والكلام الطيب العفيف يجعل مع الأصدقاء والأعداء جميعا وله ثماره الحلوة. فأما مع الأصدقاء فهو يحفظ مودتهم ويستديم صداقتهم ويمنع كيد الشيطان أن يُوهي حبالهم ويفسد ذات بينهم: «وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم إن الشيطان كان للإنسان عدوا مبينا». إن الشيطان متربص بالبشر يريد أن يُوقع بينهم العداوة والبغضاء وأن يجعل من النزاع التافه عراكا داميا ولن يسد الطريق أمامه كالقول الجميل وأما حسن الكلام مع الأعداء فهو يطفئ خصومتهم ويكسر حدتهم أو هو على الأقل يوقف تطور الشر واستطارة شرره. «ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم».

وفي تعويد الناس لطف التعبير مهما اختلفت أحوالهم يقول رسول الله: «إنكم لن تسعوا بأموالكم فليسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق». بل إنه يرى الحرمان مع الأدب أفضل من العطاء مع البذاءة. «قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غني حليم». والكلام الطيب خصلة تسلك مع ضروب البر ومظاهر الفضل التي ترشح صاحبها لرضوان الله وتكتب له النعيم المقيم. روي عن أنس قال: قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم: «علمني عملا يُدخلني الجنة! قال: أطعم الطعام وأفش السلام وصل بالليل والناس نيام تدخل الجنة بسلام». وقد أمر الله عز وجل بأن يكون حجاجنا مع أصحاب الأديان الأخرى في هذا النطاق الهادئ الكريم لا عنف فيه ولا نكر إلا أن يجور علينا امرؤ أثيم فيجب كبح جماحه ومنع اعتدائه: «ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم». وعظماء الرجال يلتزمون في أحوالهم جميعا ألا تبدو منهم لفظة نابية ويتحرجون مع صنوف الخلق أن يكونوا سفهاء أو متطاولين. روى مالك أنه بلغه عن يحيى بن سعيد أن عيسى عليه السلام مرّ بخنزير على الطريق فقال له: انفذ بسلام ! فقيل له: تقول هذا لخنزير؟ فقال: إني أخاف أن أعود لساني النطق بالسوء!. ومن الناس من يعيش صفيق الوجه شرس الطبع لا يحجزه عن المبادئ يقين ولا تلزمه المكارم مروءة ولا يبالي أن يتعرض للآخرين بما يكرهون فإذا وجد مجالا يشبع فيه طبيعته النزقة الجهول انطلق على وجهه لا ينتهي له صياح ولا تتحبس له شرّة . والرجل النبيل ينبغي ألا يشتبك في حديث مع هؤلاء فإن استثارة نزقهم فساد كبير وسد ذريعته واجب ومن ثم شرع الإسلام مداراة السفهاء.

عدم استجابة أهل البيت يوجب الانصراف دون تلكؤ أو انتظار

الاستئذان يحفظ حرمات البيوت وعوراتها

التعبير عن الاستئذان بالاستئناس يوحي بلطف الطريقة التي يجيء بها الطارق فتحدث في نفوس أهل البيت أنسا به.

الإسلام لا يعتمد على العقوبة في إنشاء مجتمعه النظيف، إنما يعتمد قبل كل شيء على الوقاية وهو لا يحارب الدوافع الفطرية ولكن ينظمها ويضمن لها الجو النظيف الخالي من المثيرات المصطنعة.

والفكرة السائدة في منهج التربية الإسلامية في هذه الناحية، هي تضييق فرص الغواية، وإبعاد عوامل الفتنة، وأخذ الطريق على أسباب التهييج والإثارة مع إزالة العوائق دون الإشباع الطبيعي بوسائله النظيفة المشروعة.

ومن هنا يجعل للبيوت حرمة لا يجوز المساس بها، فلا يفاجأ الناس في بيوتهم بدخول الغرباء عليهم إلا بعد استئذانهم وسماحهم بالدخول، خيفة أن تطلع الأعين على خفايا البيوت، وعلى عورات أهلها وهم غافلون.. ذلك مع غض البصر من الرجال والنساء، وعدم التبرج بالزينة لإثارة الشهوات.

ومن هنا كذلك ييسر الزواج للفقراء من الرجال والنساء فالإحصان هو الضمان الحقيقي للاكتفاء.. وينهى عن تعريض الرقيق للبغاء كي لا تكون الفعلة سهلة ميسرة، فتغري بيسرها وسهولتها بالفحشاء.

لقد جعل الله البيوت سكنا، يفيء إليها الناس، فتسكن أرواحهم، وتطمئن نفوسهم، ويأمنون على عوراتهم وحرماتهم، ويلقون أعباء الحذر والحرص المرهقة للأعصاب!

والبيوت لا تكون كذلك إلا حين تكون حرما آمنا لا يستبيحه أحد إلا بعلم أهله وإذنهم وفي الوقت الذي يريدون، وعلى الحالة التي يحبون أن يلقوا عليها الناس.

ذلك إلى أن استباحة حرمة البيت من الداخلين دون استئذان، يجعل أعينهم تقع على عورات، وتلتقي بمفاتن تثير الشهوات، وتهيئ الفرصة للغواية، الناشئة من اللقاءات العابرة والنظرات الطائرة، التي قد تتكرر فتتحول إلى نظرات قاصدة، تحركها الميول التي أيقظتها اللقاءات الأولى على غير قصد ولا انتظار، وتحولها إلى علاقات آثمة بعد بضع خطوات أو إلى شهوات محرومة تنشأ عنها العقد النفسية والانحرافات.

ولقد كانوا في الجاهلية يهجمون هجوما، فيدخل الزائر البيت، ثم يقول: لقد دخلت! وكان يقع أن يكون صاحب الدار مع أهله في الحالة التي لا يجوز أن يراهما عليها أحد وكان يقع أن تكون المرأة عارية أو مكشوفة العورة، هي أو الرجل، وكان ذلك يؤذي ويجرح، ويحرم البيوت أمنها وسكينتها، كما يعرض النفوس من هنا ومن هناك للفتنة، حين تقع العين على ما يثير.

من أجل هذا وذلك أدب الله المسلمين بهذا الأدب العالي. أدب الاستئذان على البيوت، والسلام على أهلها لإيناسهم. وإزالة الوحشة من نفوسهم، قبل الدخول: «يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها».

ويعبر عن الاستئذان بالاستئناس – وهو تعبير يوحي بلطف الاستئذان، ولطف الطريقة التي يجيء بها الطارق، فتحدث في نفوس أهل البيت أنسا به، واستعدادا لاستقباله. وهي لفتة دقيقة لطيفة، لرعاية أحوال النفوس، ولتقدير ظروف الناس في بيوتهم، وما يلابسها من ضرورات لا يجوز أن يشقى بها أهلها ويحرجوا أمام الطارقين في ليل أو نهار.

وبعد الاستئذان إما أن يكون في البيوت أحد من أهلها أو لا يكون فإن لم يكن فيها أحد فلا يجوز اقتحامها بعد الاستئذان، لأنه لا دخول بغير إذن: «فإن لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم».

وإن كان فيها أحد من أهلها فإن مجرد الاستئذان لا يبيح الدخول، فإنما هو طلب للإذن. فإن لم يأذن أهل البيت فلا دخول كذلك ويجب الانصراف دون تلكؤ ولا انتظار: «وإن قيل لكم: ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم».

ارجعوا دون أن تجدوا في أنفسكم غضاضة، ودون أن تستشعروا من أهل البيت الإساءة إليكم، أو النفرة منكم. فللناس أسرارهم وأعذارهم. ويجب أن يترك لهم وحدهم تقدير ظروفهم وملابساتهم في كل حين.

«والله بما تعملون عليم».. فهو المطلع على خفايا القلوب، وعلى ما فيها من دوافع ومثيرات.

فأما البيوت العامة كالفنادق والمثاوي والبيوت المعدة للضيافة منفصلة عن السكن، فلا حرج في الدخول إليها بغير استئذان، دفعا للمشقة ما دامت علة الاستئذان منتفية: «ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم».

«والله يعلم ما تبدون وما تكتمون» فالأمر معلق باطلاع الله على ظاهركم وخافيكم، ورقابته لكم في سركم وعلانيتكم. وفي هذه الرقابة ضمان لطاعة القلوب، وامتثالها لذلك الأدب العالي، الذي يأخذها الله به في كتابه، الذي يرسم للبشرية نهجها الكامل في كل اتجاه.

إن القرآن منهاج حياة، فهو يحتفل بهذه الجزئية من الحياة الاجتماعية، ويمنحها هذه العناية، لأنه يعالج الحياة كليا وجزئيا، لينسق بين أجزائها وبين فكرتها الكلية العليا بهذا العلاج. فالاستئذان على البيوت يحقق للبيوت حرمتها التي تجعل منها مثابة وسكنا، ويوفر على أهلها الحرج من المفاجأة، والضيق بالمباغتة، والتأذي بانكشاف العورات.. وهي عورات كثيرة، تعني غير ما يتبادر إلى الذهن عند ذكر هذه اللفظة.. إنها ليست عورات البدن وحدها، إنما تضاف إليها عورات الطعام، وعورات اللباس، وعورات الأثاث، التي قد لا يحب أهلها أن يفاجئهم عليها الناس دون تهيؤ وتجمل وإعداد، وهي عورات المشاعر والحالات النفسية، فكم منا يحب أن يراه الناس وهو في حالة ضعف يبكي لانفعال مؤثر، أو يغضب لشأن مثير، أو يتوجع لألم يخفيه عن الغرباء؟!

ولكن كل هذه الدقائق يرعاها المنهج القرآني بهذا الأدب الرفيع، أدب الاستئذان، ويرعى معها تقليل فرص النظرات السانحة والالتقاءات العابرة، التي طالما أيقظت في النفوس كامن الشهوات والرغبات، وطالما نشأت عنها علاقات ولقاءات، يدبرها الشيطان، ويوجهها في غفلة عن العيون الراعية، والقلوب الناصحة، هنا أو هناك !

ولقد وعاها الذين آمنوا يوم خوطبوا بها أول مرة عند نزول هذه الآيات، وبدأ بها رسول الله – عليه الصلاة والسلام.

أخرج أبوداود والنسائي من حديث أبي عمر الأوزاعي – بإسناده – عن قيس بن سعد هو ابن عبادة قال:زارنا رسول الله –صلى الله عليه وسلم– في منزلنا فقال: السلام عليكم ورحمة الله فرد سعد ردا خفيا. قال قيس: فقلت: ألا تأذن لرسول الله –صلى الله عليه وسلم– فقال: دعه يكثر علينا من السلام. فقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم– السلام عليكم ورحمة الله. فرد سعد ردا خفيا. ثم قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: السلام عليكم ورحمة الله. ثم رجع رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وأتبعه سعد فقال: يا رسول الله إني كنت أسمع تسليمك وأرد عليك ردا خفيا لتكثر علينا من السلام – فقال: فانصرف معه رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وأمر له سعد بغسل فاغتسل، ثم ناوله خميصة مصبوغة بزعفران أو ورس، فاشتمل بها، ثم رفع رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يديه، وهو يقول: «اللهم اجعل صلاتك ورحمتك على آل سعد بن عبادة». الخ الحديث.

وأخرج أبو داود – بإسناده – عن عبد الله بن بشر قال: كان رسول الله –صلى الله عليه وسلم– إذا أتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه، ولكن من ركنه الأيمن أو الأيسر، ويقول: السلام عليكم. السلام عليكم. ذلك أن الدور لم يكن يومئذ عليها ستور.

وروى أبو داود كذلك – بإسناده – عن هذيل قال:جاء رجل – قال عثمان:سعد – فوقف على باب النبي –صلى الله عليه وسلم– يستأذن. فقام على الباب – قال عثمان:مستقبل الباب – فقال له النبي –صلى الله عليه وسلم–: «هكذا عنك – أو هكذا – فإنما الاستئذان من النظر».

وفي الصحيحين عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– أنه قال: «لو أن امرأ اطلع عليك بغير إذن، فحذفته بحصاة ففقأت عينه ما كان عليك من جناح».

وروى أبو داود – بإسناده – عن ربعي قال: أتى رجل من بني عامر استأذن على رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وهو في بيته فقال: آلج؟ فقال النبي –صلى الله عليه وسلم– لخادمه: اخرج إلى هذا فعلمه الاستئذان، فقل له: قل: السلام عليكم. آأدخل؟ فسمعها الرجل فقال: السلام عليكم. آأدخل؟ فأذن له النبي –صلى الله عليه وسلم– فدخل.

وقال هشيم: قال مغيرة: قال مجاهد: جاء ابن عمر من حاجة، وقد آذاه الرمضاء، فأتى فسطاط امرأة من قريش، فقال: السلام عليكم. آأدخل؟ قالت: ادخل بسلام. فأعاد، فأعادت، وهو يراوح بين قدميه. قال: قولي: ادخل. قالت:ادخل. فدخل!

«وروى عطاء بن رباح عن ابن عباس – رضي الله عنهما، قال:قلت آأستأذن على أخواتي أيتام في حجري معي في بيت واحد؟ قال:نعم. فرددت عليه ليرخص لي فأبى، فقال:تحب أن تراها عريانة؟ قلت: لا. قال: فاستأذن. قال: فراجعته أيضا. فقال: أتحب أن تطيع الله؟ قال: قلت: نعم. قال: فاستأذن».

وجاء في الصحيح عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– أنه نهى أن يطرق الرجل أهله طروقا.. وفي رواية: ليلا يتخونهم.

وفي حديث آخر أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قدم المدينة نهارا، فأناخ بظاهرها وقال: «انتظروا حتى ندخل عشاء – يعني آخر النهار – حتى تمتشط الشعثة، وتستحد المغيبة».

إلى هذا الحد من اللطف والدقة بلغ حس رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وصحابته، بما علمهم الله من ذلك الأدب الرفيع الوضيء، المشرق بنور الله.